النظام التعليمي في العراق ونشوء المثقفين
1900 – 1934

سهيل الزهاوي

المثقفون ليسوا طبقة منفصلة وهم يتكونون من فئات ينحدرون من طبقات المجتمع، فقد وضع ماركس وانجلس في الأيديولوجية الألمانية اللبنة الأولى لتعريف المثقف.. يقول ماركس وانجلز *إن أفكار الطبقة الحاكمة هي الأفكار المسيطرة في كل العصور، أي أن الطبقة المتحكمة ماديا في المجتمع هي نفسها الطبقة المتحكمة فكريا فيه. الطبقة التي لديها وسائل الإنتاج المادي ووسائل تصريفه، لديها في نفس الوقت السيطرة على وسائل الإنتاج العقلي. باختصار: أفكار الذين لا يمتلكون وسائل الإنتاج الفكري تظل منحصرة فيهم وحدهم. الأفكار المسيطرة ليست أكثر من انعكاس لعلاقات السيطرة المادية في المجتمع، ليست أكثر من هذه العلاقات متمثلة ذهنيا. (#) أما عند لينين، فأن ما يميز المثقفين عن العمال اليدويين ليس كونهم ، مؤلفين وكتاب، بل كونهم أيضاً أصحاب المهن الحرة والأعمال الذهنية.

بحسب تعريف الفيلسوف الماركسي الإيطالي، غرامشي، الشهير بآرائه في الموضوع، أن مصطلح الانتلجنسيا (**Intelligentsia**) استخدم لأول مرة في روسيا، ويقصد به آنذاك أولئك الذين تلقوا تعليماً جامعياً يؤهلهم للاشتغال بالمهن الفنية العليا . وقد اتسع استخدامه وامتد مدلوله إلى كل الذين ينخرطون في مهن غير يدوية. أما المثقفون فهم أولئك الذين يسهمون مباشرة في ابتكار الأفكار أو نقدها. وتضم هذه الفئة المؤلفين والعلماء والفلاسفة والمفكرين والمتخصصين في النظريات الاجتماعية والمحللين السياسيين.
التعريف الأكثر وضوحا، والأقرب إلى الواقع في البلدان النامية، هو الذي طوّره أنطونيو غرامشي – المنّظر والقائد الماركسي الإيطالي. يؤكد غرامشي أنه لا يوجد أي نشاط إنساني يمكنه أن يكون خال من النشاط الذهني، (حتى المهام الأقل إبداعية). وبنفس المقدار، فإنه لا يوجد أي نشاط ثقافي يمكن أن يتم إلى نهايته بدون عمل يدوي (مثلا: كتابة الكلمات أو عزف الموسيقى). ولذا، فإن ما يميز المثقفين عن غيرهم هو أنه في نشاطهم يميل التوازن بين العمل الذهني واليدوي ناحية العمل الذهني. ويقول غرامشي ((إن المثقفين بما هم مثقفين، لا يشكلون طبقة، أن كل مجموعة اجتماعية لها جماعة من المثقفين خاصة بها ، او هي تعمل على خلقها.)) هَؤُلاء المثقفون المرتبطون بظهور طبقة اجتماعية أساسية هم المثقفون العضويون، وتكمن وظيفتهم في تكوين تجانس فكري للطبقة الاجتماعية التي يمثلونها، لا في قدرتهم على تشكيل تصور للعالم خاص بتلك الفئة، وفي نقدهم كل الأيديولوجيات السابقة لظهور تلك الطبقة. ومقابل الشكل الأول من المثقفين، أي المثقفين العضويين المرتبطين بطبقة اجتماعية والذين يعملون على إعطائها التجانس الأيديولوجي، يقيم غرامشي مفهوما آخر للمثقفين يعتمد على أساس الرؤية التاريخية لتكونهم. وهو ما أسماه بالمثقف التقليدي، أي المثقف الذي ينتمي الى طبقات اجتماعية زائلة أو في طريقها الى الزوال. وأن تعبير مثقف هو في البلدان المستعمرة والتابعة أوسع تقليداً مما هو عليه الآن بعد انهيار النظام الاستعمار. (في مقال يدرج الباحث الأمريكي سيلز في عداد فئة المثقفين جميع الأشخاص من ذوي التعليم الحديث وجميع الذين أنهوا الدراسة في

المعاهد والجامعات ويعملون في الإدارة الحكومية ويدرج ايضا الصحفيين والأطباء وغيرهم من خريجي الجامعات وأكثر من فعالياً ما يدرجون في عداد المثقفين الشبيبة التي تتعلم والطلبة.) (1)

في بداية القرن العشرين كان العراق أكثر تخلفاً من سوريا ومصر من ناحية التعليم، وقد أثر التخلف الاقتصادي والثقافي ونظام الدولة الاستبدادية العثمانية تأثيرا وخيما على التعليم بشكل عام (2).

لقد كان نسبة المتعلمين نصف بالمائة من سكان المدن في عام 1850 وقد زادت هذه النسبة في عام 1900، فأصبح بين خمسة وعشرة بالمائة.(3) وعندما انتهت الحرب العالمية الأولى، فإن عدد المتعلمين لم يتجاوز 1% من عدد السكان. (4) وفي فترة الاحتلال والانتداب البريطاني ، كان توسع التعليم تسير بشكل بطيء في بلد غارق في الأمية. بينما كانت نسبة المتعلمين بين الأقليات الدينية اعلى منها في المسلمين.

وإذا كان انتشار التعليم والثقافة الغربية أسبق بين الأقليات الدينية فذلك يعود كما هو معروف إلى أن المسيحيين واليهود أنشأ مدارسهم الخاصة وكانت (الاليانس) من بين المدارس ذو التعليم عالي. والمبشرون الأمريكان والفرنسيين والانكليز اهتموا بتعليم أبناء المسيحيين في العهد العثماني ومن خلالها احتكوا بالثقافة الغربية بشكل مبكر.

فكان معظم المثقفين والمتعلمين العراقيين يتكون من أناس حصلوا تعليمهم من المدارس الدينية، وفيما بعد تأسس المدارس الحديثة وتوجه الطلاب الى الدراسة في اسطنبول والدول الغربية وبذلك توسعت قاعدة المثقفين فشملت الطلاب والمعلمين في المدارس الحديثة.

وكان التعليم والوظيفة اساسا اجتماعيا ـ اقتصادياً قامت عليها فئة المثقفين وكان الجزء الأكبر من هذه الفئة من أبناء الأغنياء والميسورين.

فان المواقف الوطنية والسياسية التي اتخذتها المثقفون العراقيون خلال عهود الاحتلال العثماني والبريطاني وفي فترة الانتداب هي استنتاجات لا يمكن تحليل المثقفين على أساس منشأهم الاجتماعي والطبقي.

لعب المثقفين العراقيين ولا سيما الطلبة والمعلمين دوراً ايجابياً في النضال السياسي والاجتماعي وكانوا عنصراً هاماً في الحركة لا يتناسب مع حجمها وعددها. ويزداد دور المثقفين او المتعلمين كلما انخفض مستوى تطور البلاد حيث كان العراق يخضع للحكم الأوتوقراطي العثماني لفترة أربعة قرون وتميزت البلاد بافتقارها إلى الطبقتين المرتبطتين بالإنتاج الحديث وهما البروليتاريا الصناعية والبرجوازية وكان المثقفون هم بالذات حاملو الأفكار التحررية في العهد العثماني.

وازداد فعالية هذه الفئة بعد الاحتلال البريطاني للعراق وفي فترة ما بعد تنسيب فيصل ملكاً وعندما احتدم الصراع وازداد التناقضات الاساسية الرئيسية في المجتمع العراقي بين الاستعمار والقوى المحلية المساندة لها من جهة وحركة التحرر الوطني من جهة أخرى، ففي الوقت الذي التحمت فيه مصالح الإقطاع وملاكي الأراضي وشرائح متعددة من البرجوازية الكومبرادورية والتجارية بالاستعمار البريطاني كانت فئات أخرى من المثقفين قد تعاونوا مع التجار ورجال الدين (المجتهدون) والشيوخ من ذوي الاتجاهات الوطنية واستطاعت أن تقود النضال ضد الاحتلال البريطاني وكانت (هذه الفئة تجسد وتعبر عن تطور المصالح الطبقية في المجتمع بأسره وذلك في كثير من الوعي والحزم والدقة الممكنة للتجسيد والتعبير) (5)

بينما اعداد اخرى من المثقفين الذين كانوا من نشطاء الحركة القومية وعملوا في الجمعيات السياسية كالعهد في العهد العثماني وفي فترة الانتداب أصبحوا من مروجي النفوذ البريطاني في العراق وشغلوا العديد من المناصب العالية في مجلس الوزراء واحياناً كانت بعض تصطدم طموح المثقفين بعدم حصولهم على

المناصب فتجدهم يقفون في معارضة شكلية ضد المستعمرين ويطالبون باقتسام السلطة بينهم لذلك أصبح الموظفون الكبار أداة بأيدي الامبريالية.

النظام التعليمي في العهد العثماني

كانت المدارس الدينية على منهج الإسلام أساس التعليم في العهد العثماني. وقد أنشئت هذه المدارس بهدف تخريج المدرسين، والمُفتين، والعاملين في المؤسسات الدينية والقضائية. وتمد الدولة بالموظفين .

دخلت الإمبراطورية العثمانية في أواخر القرن السابع عشر أزمة خطيرة، شملت الميادين الاجتماعية والعسكرية والثقافية ودب الفساد في ماكينة الدولة.

((لقد أفضى تفسخ النظام الإقطاعي العثماني الى هذه الازمة، اذ جعلت علاقات الانتاج الاقطاعي تطور القوى الإنتاجية اللاحق امراً مستحيلاً، فضلا عن تحطيمها للقوى الإنتاجية الموجودة. **(6)** فان اي حركة ثقافية ترتبط بالضرورة بالواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي السائد في المجتمع .

وكان نظام التربية والتعليم في العهد العثماني بفلسفته ومناهجه ومؤسساته وتشريعاته جزء من البناء الفوقي للمجتمع يقوم على أساس العلاقات الإنتاجية الإقطاعية السائدة وكذلك كان التعليم يرتكز ((على أساس المعتقدات الدينية والعواطف الإحسانية الغرض منه قراءة الكتب المقدسة وتلقين العقيدة الإسلامية وخدمة السلطان.)) **(7)** وعلى ضوء هذا النهج فقد تأسست في العراق مجموعة من الكتاتيب التقليدية التي تولت مجموعة من الصبيان والصبية وذلك بتحفيظهم القرآن وأمور الدين الأخرى.

فهذا التخلف الثقافي الشديد الذي عانى منه العراق انما يشكل جانبا اساسياً من جوانب التخلف العام للقوى المنتجة التي تعيفها العلاقات الإنتاجية الإقطاعية السائدة آنذاك.

وبعد التدهور الذي حدث في جهاز الدولة العثمانية، فقد جرى تنظيمه من جديد غير أن التنظيم لم يشمل العراق بسبب وقوعه في الطرف الأقصى للإمبراطورية العثمانية المترامية مما عزله عن المجالات الاقتصادية والسياسية والثقافية لهذه الدولة. **(8)**

سوف نهتم هنا بإلقاء نظرة فاحصة على مسار الإصلاحات التي جاءت بها الدولة العثمانية في عهد مدحت باشا في نهاية الثامن عشر في مجال التعليم في العراق أن نرصد التغيير الذي لحق المثقفين العراقيين فيما بعد.

وبعد تعين مدحت باشا في عام 1869 واليا على بغداد وشرع الى القيام ببعض الاجراءات الاصلاحية في المجالات الإدارية والثقافية وكان الهدف منها توطيد سلطة الباب العالي في العراق.

وقد ساعد افتتاح قناة السويس عام 1969 على انضمام العراق الى السوق العالمية مما هيأ إمكانيات جديدة لتطور الاقتصاد والثقافة في البلاد. **(9)** إلا أن هذه الإصلاحات لم تكن سوى جراحة التغيير التي تغير الملامح دون أن تحدث تغيراً يذكر في الجوهر والمحتوى، وإن كانت تلك التغيرات قد حققت بعض النتائج الإيجابية إلا أنها اكتنفها العديد من السلبيات مما أعاقت مسيرتها.

ويرتبط تاريخ التعليم الحديث في العراق بهذه الإصلاحات التي جاءت به مدحت باشا ومنذ تلك السنة حيث جرى إنشاء أربعة مدارس حديثة هي: -

1 - المدرسة الرشدية المدنية

2 المدرسة الرشدية العسكرية

3- المدرسة الاعدادية العسكرية.
3- مدرسة الفنون والصنائع.
بينما أهمل التعليم الأساسي الابتدائي ولم يجر الاهتمام بها إلا بقدر حاجة المدارس الرشدية إلى التلاميذ وكانت المدارس الرشدية تضم بين صفوفها، صفوف للمرحلة الابتدائية وكان الغرض من إنشاء هذه المدارس العسكرية استهدفت تعليم الفنون العسكرية. وفي الوقت ذاته ابقت المدارس القديمة كما هي ولم يجر محاولات لإعادة تنظيمها أو فرض رقابة عليها **(10)**
وفقا للتقارير الرسمية للسلطة العثمانية ((كان في العراق في العهد التركي نظام ممتاز للمعارف. فقد كان في كل ولاية، مدير معارف، له ميزانية وموظفوه، وعدد من المدارس تسير بموجب منهج خاص، على أننا لو أردنا ان نحكم على المعارف وفق النتائج، لوجدنا هذا النظام لم يكن إلا شيئا أجوف! لم يكن عدد المدارس كما تدل عليه الإحصائيات الرسمية!
ولم يكن دوام الطلاب فيها بالنسبة التي تذكرها الإحصاءات. كما كانوا المعلمين على جانب قليل من المعلومات والثقافة، وأقل من ذلك من السجايا الاخلاقية.)) **(11)**
كان تطور التعليم تسير بشكل بطيء وكان مدارس العراق وفقا (السالنامت) التي أصدرتها ولايات بغداد والموصل والبصرة ولا سيما في الفترة الأخيرة من العهد العثماني على الشكل التالي:-**(12)**

أ - المدارس الرسمية

المدن	عدد المدارس	عدد الطلاب	عدد الطالبات
بغداد	54	3910	300
الموصل	42	2644	260
البصرة	32	834	040
المجموع	128	7387	600

ب - المدارس الأجنبية الأهلية

بغداد	57	6526	2013
الموصل	6	1294	150
البصرة	1	200	000
المجموع	64	8020	2163

وبلغ عدد المدارس والطالبات والطلاب في العراق في عام 1914 وفق التقارير الرسمية

المجموع الكلي	192	15398	2763

بالرغم من الزيادة الحاصلة في عدد الطلاب الا ان مستوى التعليم غير عالي وكان عدد الطلاب الذين يرتادون المدارس غير كبير بالنسبة إلى عدد السكان. وتركزت المدارس الحكومية في المدن الكبرى، بينما حرمت القرى والأرياف من التعليم حرماناً تاماً. **(13)**
اتبعت الدولة العثمانية سياسة تعليمية باتجاه طمس معالم اللغة والحضارة للقوميات غير التركية. استهدفت منه تأجيل الشعور بالانتماء القومي وتأخيره ردحاً من الزمن. **(14)**

كان مناهج الدراسة بتراء لا تفي بالغرض وتتصبغ بالأساليب الغربية ويحوي شيئا من العلوم الحديثة مع علوم الدين ودروساً عربية ضئيلة واضأل اللغات، (15) وأبرز ظواهر السلبية فهي تدريس معظم المناهج باللغة التركية وحتى قواعد اللغة العربية تدرس باللغة التركية (16)، مما أثر على إمكانية استيعاب مادة الدرس من قبل التلاميذ والشباب العراقيين
فنشأوا وهم غير قادرين على الكتابة بلغة الام. فضلاً أن المعلمين كانوا على قدر قليل من الثقافة. (17) وكانت هناك عقبات أمام التعليم وخاصة في مجال المعلمين، وكان من الصعب ارسال الطلاب الى الآستانة للدخول بدور المعلمين فيها. فقد أنشئت ثلاثة دور للمعلمين واحدة في بغداد والثانية في الموصل والثالثة في البصرة لتخريج المعلمين للمدارس الابتدائية، ولكن مستوى الدراسة فيها ضعيفة وعدد طلابها قليلاً.
أشار السيد عبد الرزاق الهلالي في معجم العراق الجزء الاول صفحة 313 الى تعليم البنات في العهد العثماني كانت أسوأ من تعليم البنين وفي غاية التأخر والإهمال، مما حدى بالطوائف الدينية غير المسلمة إلى فتح مدارس خاصة بها لتعليم الفتيات ولا سيما في بغداد والموصل والبصرة. تم إنشاء أول مدرسة حديثة للبنات في العهد العثماني في عام 1869 تضم الدراستين الابتدائية والمتوسطة سميت (إناث رشدي مكتبلي) وسجل فيها حوالي 90 طالبة.
رغم النواقص والسلبيات قد رافقت عملية التعليم في العهد العثماني إلا أن استحداث هذه المدارس نسبيا قد طور المعارف وحملت الى المجتمع العراقي من روح جديدة في طراز التعليم مقتبسا من النظم الأوربية يقدم نوع من الثقافة يختلف عن الثقافة التقليدية وقد امدت المثقفين العراقيين بطاقة جديدة من الفكر ليس لفتح ذهنه على المعارف الغربية فحسب بل تعرفوا على افكار الديمقراطية البرجوازية والاستقلال الوطني، فالمدارس العصرية التي مارست نشاطاً واسعاً في بعض البلدان العربية حيث لعب دوراً في خلق جيل من المثقفين العصريين يرفضون فكرة الخلافة.

وضع التعليم في ظل الاحتلال البريطاني (1914 - 1920)

فقد عمد المستعمرين البريطانيين إلى تحطيم الآثار الثقافية العريقة للشعب العراقي، ولم يعر المحتلين الانكليز اية اهمية يذكر للتربية والتعليم في سنوات الحرب العالمية الأولى حيث عمل على غلق كافة المدارس وفيما بعد أهملت بهدف الحد من شأن المعارف أو اعتباره أهميته ثانوية (18). لذا لا غرابة في أن سلطات الاحتلال أغلقت في مدينة الموصل مدرسة لإعداد المعلمين وأخرى ثانوية مع عدد من الابتدائية تعود إلى العهد العثماني بحجة فقدان المعلمين القديرين (19).
وكان همهم الوحيد صرف النفقات الإدارة المدنية على الجهاز الإداري الاستعماري، أما المبالغ لاحتياجات الاقتصاد الوطني وبضمنها احتياجات التعليم تمثل نسبة ضئيلة جداً.
في عام 1917 صرف للتعليم بنسبة 0.4% من مجموع المصروفات العامة، بينما نسبة ما صرف في السنة الخامسة من الاحتلال 1.9% إلى المصروفات العامة كلها (20).

لقد أنفق سلطات الاحتلال على احتياجات التعليم سنة 1919 - 1920 في أنحاء العراق اقل من مليون روبية أي ما يعادل سبعين ألف روبية تركية. بينما كانت نفقات التعليم في عهد السيطرة العثمانية في ولاية بغداد قد بلغت 34 ألف ليرة تركية عام 1911- 1912 **(21)**

وبلغ عدد المدارس في جميع أنحاء العراق بما فيها المدارس الأهلية 90 مدرسة في نيسان 1920 ويقدر عدد الطلاب المسجلين في المدارس الحكومية والتابعة للأقليات الدينية بحوالي ستة آلاف طالباً وكان مجموع طلاب دار المعلمين ثمانية وستين طالباً بضمنهم 44 طالباً من خارج بغداد. **(22)**

أما في كردستان، فان واقع الثقافي، كانت حالة مصغرة عن بقية أنحاء البلاد، فإن الميجر سُون كان يصرف على التعليم في منطقة السليمانية من وارداتها بالذات 63 ألف روبية سنوياً اي نسبة 2% فقط من مجموع واردات المنطقة لعام 1920.

في العام 1915 شكل عدد الطلاب في مدينة السليمانية وحدها 10% من مجموع الطلبة في كل أنحاء العراق، بينما لم يبلغ مجموع طلبة كردستان بأسرها عدد يشكل هذه النسبة بعد الاحتلال. فبعد الحرب فتح الانكليز مدرسة واحدة في منطقة السليمانية وذلك في شباط 1919. **(23)**

ان سياسة التعليمية التي اتبعتها سلطات الاحتلال الانكليزي في العراق كان هدفها الرئيسي تعبئة الناس ايدلوجيا حيث افتتحت دورات لإعداد المعلمين واستخدمت برامج المدارس في المؤسسات التعليمية على غرار المدارس في مصر أثناء السيطرة الاستعمارية لها **(24)**، تضمن المناهج بالضرورة أهداف وفكر وفلسفة واخلاقية الاستعمار البريطاني وتتجاهل كليا خصائص البلد المقامة فيه وتاريخ وتطور ثقافته المحلية. وكان محتوى التعليم محكوم بسياسة الدول الاستعمارية و هدفها تربية الفرد على مبادئ وأعراف معينة في السلوك والأخلاق والأيديولوجية السياسية الاستعمارية المهيمنة على المجتمع ويدرك أهمية التعليم بالنسبة الى الشعوب المتخلفة وتحاشى من توسيعها وعمل على تهيئة كوادر محددة تقف الى جانبه وتدافع عن مصالحه والعمل على تربية السكان بروح الانصياع والولاء للسلطات وتنشئته خدم طبيعيين للمستعمرين كي لا يتحول إلى أدوات فعالة لنهضة الثقافة القومية وتنمية تقاليدها القومية والنهوض بالوعي القومي الذاتي الأمر الذي سيكون شأن كبير في النضال ضد السيطرة الاستعمارية والدعوة إلى الاستقلال والتحرر الوطني والاجتماعي الحقيقين. **(25)**

وقد قابل هذه السياسة المثقفين العراقيين بفتح مدارس أهلية في عام 1919 الى جانب المدرسة الجعفرية التي افتتحت بعد ثورة 1908 البرجوازية من اجل نشر الثقافة وتربية الجيل الجديد على المفاهيم الوطنية، ولهذا السبب قابل المحتلين بعدم الارتياح مبادرة المثقفين العراقيين بفتح المدارس الخاصة محاولين ووضعها تحت الرقابة الحكومية. **(26)**

مسار تطور التعليم في ظل الانتداب

لقد كانت ثورة العشرين أهم عامل جعل الامبريالية البريطانية تدرك بان الحكم المباشر على العراق صفقة خاسرة فرضخت لتأسيس الدولة العراقية تكوين جيشها الوطني، بدأت تحكم البلاد طبقا لنظام الانتداب باسم عصبة الأمم المتحدة.. بعقول بريطانية وايدي عراقية.. كما كتبت مس بيل في مذكراتها. **(27)** لذلك اضطر سلطات الانتداب إلى فتح مدارس جديدة نتيجة تزايد نشاط الحركة الوطنية العراقية المعادية للتدخل البريطاني

في العراق من جهة وحاجة الجهاز الاداري الى الكتبة والموظفين يقومون بأعباء وظائف العامة وإعداد نخبة مختارة يتربوا بروح الخنوع وعدم الاكتراث بالأمور السياسية لكي يشكلوا قوة رجعية موالية للإمبريالية باستطاعتهم تسليم الحكم لها. فضلا عن الطلب الذي ابدته الفئات المتنورة والميسورة على تعليم أولادهم سعيا منهم إلى أن يضمنوا لهم الرفاه النسبي والمركز الاجتماعي المرموق في الوظيفة الحكومية.

تبعا لهذه السياسة التي يهيمن عليها مستشار التعليم الانكليزي، وقد خصصت للتعليم مبالغ من الميزانية العامة، كانت تتزايد عام بعد عام بنسب ضئيلة.

ففي العامين 1920 - 1921 و 1921 - 1922 كانت ميزانية وزارة المعارف مقارنة بالميزانية العامة كما يالي:- **(28)**

السنة المالية	الميزانية العامة	ميزانية وزارة المعارف	النسبة المئوية
1920 -1921	**13.360**	**5556574**	**2.3 %**
1921 - 1922	**142425**	**4436065**	**3.2 %**

أما في العامين 1930 - 1931 و1931 - 1932 فقد أصبحت كما يالي :-

1930 - 1931	**294262**	**3994337**	**7.2 %**
1931 - 1932	**206334**	**3567897**	**8.2 %**

ثم أصبح معدل تخصيصات التربية والتعليم حوالي 10 % من ميزانية الدولة للسنوات ما بعد عام 1932. **(29)** وقد أضيف إلى ميزانية التعليم في عام 1921 والسنوات ما بعدها ميزانية دائرة الآثار القديمة ومدرسة الهندسة.

نلاحظ خلال السنوات الانتداب البريطاني، كان حجم التعليم ضئيلاً على المستويين الكمي والنوعي. الأمر الذي يشير عدد المدارس الابتدائية للبنين، لم يتعدى عن 124 مدرسة في عام 1921 ضمت 12226 تلميذ ازداد في عام 1930 إلى 247 مدرسة ضمت 248850 تلميذ وفي خلال هذه المدة ازداد عدد المدارس المتوسطة والثانوية من أربعة مدارس إلى عدد طلابها التقديري 228 الى خمسة مدارس عدد طلابها جميعاً 1863 طالباً. **(30)** بينما أصبح في عام 1934 - 1935 عدد المدارس الابتدائية 528 ضمت 60324 طالباً وازداد عدد المدارس المتوسطة والثانوي في نفس المدة الى 35 مدرسة صمت 6058 طالباً وبعد احتلال العراق من قبل القوات البريطانية، فتحت أول دورة لتخريج المعلمين للمدارس الابتدائية في عام 1917 وكانت مدة الدراسة فيها ثلاثة أشهر **(31)**، نلاحظ خلال حكم الانتداب البريطاني للعراق ، كان حجم التعليم ضئيل جداً حيث كان عدد الطلاب في السنة الدراسية 1920 - 1921 وفي السنة الدراسية 1920 - 1921 لم يتعدى عدد الطلاب في دور المعلمين 91 طالبا وصلت عدد الطلاب في السنة الدراسية 1930-1931 الى 286 **(32)**

وبعد أغلقت المدارس في العراق أثناء الحرب العالمية الأولى فلما انتهى الحرب باحتلال الانكليز للعراق اهملوا فتح مدارس البنات ولم يجري فتحها إلا في 1/19/ 1920 ويتعلق أسبابها بما يلي:- **(33)**

اولاً: عدم حاجة المحتلين إلى استخدام النساء في دوائر الدولة.

ثانياً: افتقار مؤسسة التعليم إلى عدد كاف من المعلمات.

ثالثاً: عدم رغبة الناس في إرسال بناتهم الى المدارس نتيجة للعادات والتقاليد الاجتماعية.

وكانت عدد مدارس الابتدائية للبنات في عام 1921 لم يتعد 27 مدرسة وازداد في عام 1931 الى 44 مدرسة، كما ازداد عدد الطالبات من 1849 طالبة 6003 طالبة في نفس الفترة الآنفة الذكر وكانت نسبة الطالبات إلى الطلاب في عام 1931 يساوي 25% تقريباً **(34)** ازداد عدد طالبات دور المعلمات ما بين السنة الدراسية 1923- 1924 والسنة الدراسية في 1930 -1931 من 30 الى 100 طالبة **(35)**. أما الدراسة المتوسطة والثانوية للبنات لم تبدأ إلا في العام الدراسي 1929 - 1931 عندما فتحت أول مدرسة ثانوية للبنات في بغداد هي الثانوية المركزية للبنات وكان عدد طالباتها في السنة الأولى، بل يتعدى 11 طالبة **(36)**.

في عام 1932 فتحت أول مدرسة للفنون البيتية لإعداد ربات بيوت مثقفات يعملن على تطوير الجيل تربية صالحة **(37)** وفي السنة الدراسية 1932 - 1933 قبل فيها 58 طالبة.

فإن الإهمال التي لحقت بقطاع التعليم عموماً، فأخذت التعليم العالي نصيبها من هذا الاهمال، فقد كانت التعليم العالي تكاد تكون معدومة في ظل الدولة العثمانية إذا استثنينا مدرسة الحقوق التي فتحت في عام 1908 وأغلقت في بداية الحرب العالمية الأولى بعد أن كانت عدد طلابها تجاوز المئتين طالباً ولم يتم فتحها إلا في عام 1919. **(38)**

في سنة 1923 أسست الحكومة العراقية دار المعلمين العالية وتلتها كلية الطب 1927، **(39)** كما تأسست كلية الزراعة في عام 1926 وأغلقت في عام 1931. **(40)**

نلاحظ خلال حكم الانتداب البريطاني للعراق، كان حجم التعليم ضئيل جداً حيث كان عدد الطلاب في السنة الدراسية 1920 - 1921 لم يتجاوز الخمسين بينما ازداد في السنة الدراسية 1932 - 1933 الى 115 أي أقل من الضعف **(41)**

لقد وظف المعاهد العالية في خدمة النظام الموالي للإنكليز، لتهيئة ما يحتاج إليه من كوادر إدارية وقضائية ليتم سيطرته على الشعب وتشديد قبضته على خناقه، فأصبح عائقاً أمام الكفاءات العلمية.

لم يكن في العراق عند تأسيس ((الحكم الوطني)) إلا عدد ضئيل من أهل الاختصاص وحملة الشهادات العلمية، فكانت أول بعثة علمية اوفدتها الحكومة الحكومة من الطلبة العراقيين للدراسة في الخارج على نفقتها في عام 1922 وكان عدد أعضائها 9 طلاب ومجموع ما أرسل الى الخارج من عام 1921 الى عام 1934 لا يزيد على 292 طالباً **(42)** وكان الغرض الاساسي في ارسال البعثات الى الخارج هي تشكيل كوادر علمية يؤمن بفلسفة وأخلاقية الامبريالية.

ان السياسة التي اتبعتها سلطات الاحتلال البريطاني وسارت عليها فيما بعد مستشار التعليم الانكليز في فترة الانتداب، اتصفت لضعف كفاءتها وسارت التوسع بطيء شديد قياسا الى حاجة البلد غارق في الأمية في حين انطوت صفحة الحرب العالمية الأولى ولم يزد عدد المتعلمين في العراق على 1% من مجموع السكان **(43)**. وشدة التمايز بين المدينة والريف وبين بغداد والمدن الأخرى وبين الإناث والذكور ما هو إلا انعكاس للتمايز في المستويات الاقتصادية والاجتماعية وساعدت هذه السياسة موضوعياً على حرمان الطبقات الكادحة من التعليم واغداق نعمته على أبناء الفئات المترفة والوسطى، وكان أهدافها ملء الوظائف والمراكز الحكومية بعناصر موالية للنظام وهذا ما اكدته التقرير المقدم من لجنة مونرو عن واقع التعليم في العراق سنة 1930 إذ شخص غاية الناس من الدراسة في العراق باجتياز الامتحانات المدرسية والحصول على الوظائف الحكومية. **(44)** كما كان ضمن أهدافها نشر الفكر البرجوازي في المدارس والمعاهد العالية منقولا عن معاهد مفكري الاستعمار في اوربا وامريكا.

جدول يوضح نسب التركيب السكاني العراقي للسنوات 1867-1957

السنة	البدو	العشائر (الفلاحون المتوطنين)	المدن	المجموع
1867	35%	41%	24%	100%
1905	17%	59%	24%	100%
1930	7%	68%	25%	100%
1957	1%	58%	41%	100%

المصدر د. سليم الوردي - ضوء على ولادة المجتمع العراقي المعاصر ص. 53،

كان العصر الإقطاعي عصر وجمود في الأفكار والعادات والقيَم، أصبح التغير هو شعار العصر الرأسمالي في مراحله الأولى؛ وكان الفكر الرجعي الإقطاعي السائد في العراق وعملت سلطات الاحتلال على تعزيز هذا النظام خدمة لمصالحها و بنشر الفكر البرجوازي بين المتعلمين ساعدت على إضعاف مواقع الفكر الرجعي الإقطاعي بين الطلبة والشغيلة عن طريق تدريس العلوم الحديثة كالفيزياء والكيمياء والرياضيات ونشر أفكار الثورات البرجوازية في أوروبا.

كانت الافكار البرجوازية يعترف بالسيادة المطلَقة للعقل، والتخليِّ عن كل النَّزعات العقلانية التي كانت تسود النظام الاقطاعي في اوربا مما كان له آثار واسعة على توجه جزء من الطلبة في المراحل المتعدد نحو الفكر الوطني الثوري الذي يناهض الفكر المثالي ولا سيما الفكر الاقطاعي السائد.

(#) الايديولوجية الالمانية ، ماركس و انجلز ، ترجمة الدكتور فؤاد أيوب ، دار دمشق ، ص. 56

(1) - عدد من علماء السوفيت ، التركيب الطبقي في البلدان النامية، ص . 357

(2) - مس بيل ، فصول من تاريخ العراق السياسي ، ص. 33

(3) لونكريك، ستيفن هيمسلي - اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ترجمة جعفر الخياط ، مطبعة التفيض الأهلية، بغداد 1941 ، ص. 343

(4) - هاشم جواد مقدمة في كيان العراق الاجتماعي ، منشورات الرابطة الثقافية ، مطبعة المعارف ، بغداد 1946 ، ص. 104

(5) - لينين ، المؤلفات المجلد (7) ، ص 343 عن مجموعة العلماء السوفيت نفس المصدر السابق ص. 357 - 358 .
(6) لوتسكي (تاريخ الأقطار العربية الحديث) دار التقدم ، موسكو 1971. ص. 27
(7) - الثقافة الجديدة العدد 82 حزيران 1976 عن ارنولدس .م هيلي ، اتجاهات في تربية الكبار، نشر اللجنة الوطنية المغربية .
(8) - ل.ن . كوتلوف ((ثورة العشرين التحررية في العراق)) ترجمة الدكتور عبد الواحد كرم مطبعة أوفست الديواني بغداد ، 1985،ص. 25 - 26
(9) ل.ن . كوتلوف نفس المصدر السابق ص .26
(10) - مجموعة من اساتذة جامعة الموصل ، دراسات في الوطن العربي ، ص . 46
(11) - فيليب ولارد آيلاند، العراق - دراسة في تطوره السياسي، ترجمة جعفر الخياط، بيروت . 1949 ص . 88

(12) - عن عبد الرزاق الهلالي ، تاريخ التعليم في العهد العثماني ، بغداد. 1951 ص . 248 - 252
(13) مذكرات سليمان فيضي ، في غمرة النضال ، منشورات الرابطة الثقافية ، مطبعة المعارف ، بغداد 1946 ، ص. 104
(14) لونكريك - اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، نفس المصدر السابق ، ص. 322
(15) - عبد الإله أحمد ، نشأة القصة وتطورها في العراق 1908- 1939 ، مطبعة شفيق، 1969 ، ص. 12
(16) مذكرات سليمان فيضي ، في غمرة النضال ، نفس المصدر السابق ص 57
(17) لونكريك - اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، نفس المصدر السابق ، ص. 323
(18) - فيليب ولارد آيلاند، العراق - دراسة في تطوره السياسي نفس المصدر السابق ،ص. 89
(19) - كمال مظهر احمد ، في ثورة العشرين العراقية، مطبعة الحوادث - بغداد، 1978، ص. 43
(20) - فيليب ولارد آيلاند، العراق - دراسة في تطوره السياسي نفس المصدر السابق ، ص. 91
(21) - ل.ن . كوتلوف ((ثورة العشرين التحررية في العراق)) ترجمة الدكتور عبد الواحد كرم مطبعة أوفست الديواني بغداد ، 1985، ص .116.
(22) - مس بيل (فصول من تاريخ العراق الحديث) ترجمة جعفر الخياط . بيروت 1971 . ص. 312- 314
(23) - كمال مظهر احمد ، في ثورة العشرين العراقية نفس المصدر السابق ص. 43 - 44
(24) - ل.ن . كوتلوف نفس المصدر السابق ص .116
(25) - اندريه شيرينسكي ، يداً بيد ، في طريق العلم ، دار التقدم ، 1978 ص . 17-18
(26) - محمد طاهر العمري، مقدرات العراق السياسية الجزء 3 ، طبع في المكتبة العصرية - بغداد، 1343ه - 1925م ، ص. 102
(27) من تاريخ الحركة الثورية المعاصرة في العراق ، الطبعة الأولى ، بغداد ، ص . 39
(28) - عبد الرزاق الهلالي ، معجم العراق ، الجزء الأول، مطبعة النجاح ، بغداد ، 1953 ، ص . 257
(29) - د. مصطفى عبد القادر النجار وآخرون ، العراق في التاريخ والعراق المعاصر ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، 1983، ص. 760
(30) فيليب ولارد آيلاند، العراق - دراسة في تطوره السياسي نفس المصدر السابق ، ص. 353
(31) عبد الرزاق الهلالي ، معجم العراق ، الجزء الأول، نفس المصدر السابق ص . 220 - 222
(32) - د. مصطفى عبد القادر النجار وآخرون ، العراق في التاريخ والعراق المعاصر نفس المصدر السابق ص . 710
(33) - عبد الرزاق الهلالي ، معجم العراق ، الجزء الأول، نفس المصدر السابق ص. 215
(34) فيليب ولارد آيلاند، العراق - دراسة في تطوره السياسي نفس المصدر السابق ، ص. 353
(35) - عبد الرزاق الهلالي ، معجم العراق ، الجزء الأول، نفس المصدر السابق ص .219 - 228
(36) - عدنان خير الدين وآخرون ، بحث مستقبل خريجات مدارس الفنون ، وزارة التربية ، المديرية العامة للتعليم المهني ، تموز 1973 . عن الثقافة الجديدة العدد 56 كانون الثاني 1974
(37) عبد الرزاق الهلالي ، معجم العراق ، الجزء الأول، نفس المصدر السابق ص . 228 و 234 - 236

(39) - غانم حمدون ، مقارنة كمية التعليم بين اوزبكستان والعراق ، الثقافة الجديدة العدد 43 كانون الثاني 1972 .
(40) - عبد الرزاق الهلالي ، معجم العراق ، الجزء الأول، نفس المصدر السابق ص . 256
(41) - د. مصطفى عبد القادر النجار وآخرون ، العراق في التاريخ والعراق المعاصر نفس المصدر السابق ص . 710
(42) - عبد الرزاق الهلالي ، معجم العراق ، الجزء الأول، نفس المصدر السابق ص . 162 - 166
(43) - هاشم جواد ، مقدمة في كيان العراق الاجتماعي ، منشورات الرابطة الثقافية ، مطبعة المعارف ، بغداد 1946، ص . 104
(44) - نعمة عبد اللطيف ، المناهج والتطور النوعي للتعليم ، الثقافة الجديدة العدد 93 أيار 1977 ، ص 30